# عرض الكتب

## روائع من فنون ما قبل التاريخ

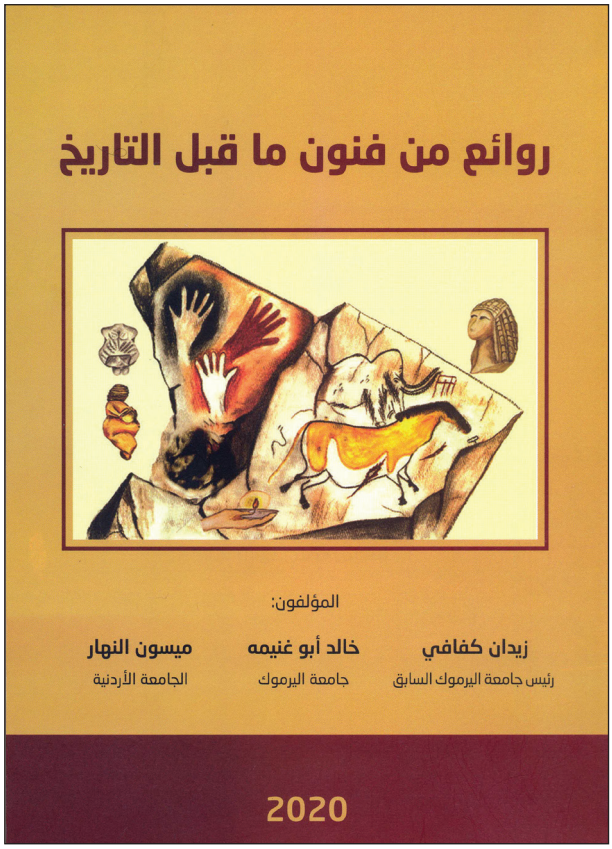


**المؤلفون:** زيدان كفافي، خالد أبو غنيمة، ميسون النهار.

**الناشر:** المؤلفون أنفسهم.

**سنة النشر:** ٢٠٢٠م

**مقاس الكتاب:** ١٧ × ٢٤ سم

**عدد الصفحات:** ٢٠٠ صفحة

**ردمك:** ٢٠٢١/١/٥٢٥

**عرض: د. عمر الغول**

يتكون الكتاب من مقدمة، وثلاثة عشر فصلًا، وخاتمة، وقائمة بالمراجع. ويعرض لنماذج من فنون ما قبل التاريخ على اختلاف أنواعها؛ من أوروبا، وبلاد الشام، والعراق، والأناضول؛ منذ العصور الحجرية القديمة، وحتى العصر الحجري النحاسي.

جاءت الفصول الثلاثة الأولى في النظرية والإطار العام، فعرَّف الفصل الأول بالفنِّ، وذكر أنه يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالجمال. وللجمال أشكال عديدة، منها: جمال الشكل، وجمال الفكرة، وجمال التعبير؛ ثم عرض الفصل للمناهج المختلفة في دراسة الفنون.

أما الفصل الثاني، فعرض للمؤثرات في الفن عبر العصور؛ فنبَّه لعلاقة الفن بالجغرافيا، والجيولوجيا، والبيئتين الطبيعية والاجتماعية، والاقتصاد، والسياسة، والأحداث المعاصرة للفنان؛ وأخيرًا، تحدث الفصل عن أثر الأحاسيس الخاصة للفنان في عمله الفني.

ويتصل ما ورد فيم الفصل الثاني بموضوع الفصل الثالث، الذي عرض لمفهوم الفن وموضوعاته في عصور ما قبل التاريخ، وبيَّن أن الفنَّ يعكس طبيعة الحياة والاقتصاد، فأنتج فنّانُو العصور الحجرية القديمة التماثيل الأنثوية، مثلًا، لتأكيد دور المرأة الرئيس في التكاثر الإنساني، وتحوَّل الإنسان إلى إنتاج أعمال فنية مختلفة في العصر الحجري الحديث، عندما أصبحت الزراعة وتربية الحيوان سبيله إلى إنتاج الرزق، وأبدع الفنانون أعمالًا فنية جمالية في العصر الحجري النحاسي، حين اكتملت قدراتهم الفنية.

يبدأ الكتاب من الفصل الرابع في استعراض فنون

ما قبل التاريخ. فعرض هذا الفصل لتقسيمات العصور الحجرية، وبيَّن أن الأعمال الفنية التي وصلتنا من العصور الحجرية القديمة جاءت كلها من أوروبا وليس من الشرق القديم؛ وعليه، فقد خُصصت الفصول الآتية للحديث عن فنون ما قبل التاريخ في أوروبا.

أما الفصل الخامس فاستعرض فنون ما قبل التاريخ في أوروبا، في العصور الحجرية القديمة، ويُلحظ هنا أن تقسيم هذه العصور جاء في الصفحة مقلوبًا! فلا بد من تصحيحه. وبدأ الفصل باستعراض روائع الفنون التي وصلتنا بحسب العصور الآثارية، وبُني العرض، في الكتاب كله، بحيث استعرض المؤلفون الظروف الطبيعية والمُخلّفات الأثرية الرئيسة التي وصلتنا من الفترة قيد الدراسة، قبل استعراض فنونها؛ وفي هذا عون كبير للقارئ، غير المختص بشكل خاص، على فهم التسلسل الزمني للأعمال الفنية المناقشة.

ويُحسب للكتاب كذلك أن المؤلفين شفعوا حديثهم عن الأعمال الفنية بكثير من الصور الملونة، ما أتاح للقارئ تمثل محتوى الفصول. ولكنَّ هذا لا يعفي من الإشارة إلى أن الصور جاءت في بعض الأحيان صغيرة الحجم، وداكنة، لا تُظهِر تفاصيل الأعمال الفنية فيها على نحو كافٍ!

وعرض الفصل للأعمال الفنية الوفيرة التي وصلتنا من الفترات الأورنياسية، والسوليترية، والمجدلانية، بخلاف تلك القليلة التي وصلتنا من العصور الحجرية الوسيطة في أوروبا، والتي عرض لها الفصل السادس.

انتقل مؤلفو الكتاب ابتداء من الفصل السابع إلى الحديث عن الفنون القديمة في بلاد الشام، فبدأوا في هذا الفصل باستعراض الأعمال الفنية التي وصلتنا من الفترة الانتقالية بين العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث، فعرَّفوا بالأعمال الفنية الهندسية وبالدمى الإنسانية والحيوانية من الفترتين الكبارية والنطوفية التي عُثر عليها، في الموضع الأول، في فلسطين والأردن.

وفي الفصل الثامن، التفت المؤلفون إلى الفنون في العصر الحجري الحديث في بلاد الشام، فاستعرضوها بحسب الترتيب التاريخي؛ ابتداء من الفترة الخيامية، وبحسب أنواعها من دمى ذكرية وأنثوية وحيوانية، وعرضوا كذلك للرسم. وتحدثوا بعد ذلك عن العمارة بوصفها نوعًا من الفنون، عند حديثهم عن فنون العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري أ، قبل أن يتحدثوا عن فنون النحت والرسم في هذه الفترة التي وصلتنا منها مكتشفات فنية وفيرة. وعادوا عند الحديث على الفنون في العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري ب إلى استعراض المخلفات المعمارية من هذه الفترة.

وهنا، لا بد من القول إن الحديث عن العمارة في هذا الموضع اقتصر على مخططات المباني المعمارية ووظائفها العملية مع إشارات عابرة لأبعادها الفنية، وفي هذا خروج -في تقديري- عن الموضوع الدقيق للكتاب. واستعرض سائر الفصل فنون النحت في هذه الفترة، والتي جادت بأمثلة فنية عديدة، ويُلحظ، على أية حال، أن المؤلفين لم يشفعوا هذا القسم بعدد كافٍ من الصور والرسوم، وتركوا للقارئ أن يستعين بأوصافهم للقطع الفنية على تصوُّر شكلها.

واتخذ المؤلفون في الفصل التاسع القصير من الأعمال الفنية التي اكتُشفت في موقع القحوانة بفلسطين مثالًا على الفنون في العصر الحجري الحديث الفخاري المبكر، قبل أن ينتقلوا في الفصل العاشر إلى الحديث عن الفنون في العصر الحجري النحاسي، ملتفتين في صورة خاصة إلى اللوحات الجدارية المكتشفة في موقع تليلات الغسول.

بذلك، أنهى المؤلفون استعراضهم التاريخي للفنون في العصور القديمة، وتحوَّلوا إلى استعراضها بحسب معايير أخرى؛ ففي الفصل الحادي عشر تحدثوا عن فنون العصر الحجري الحديث في شمالي العراق، وأضافوا إلى العنوان عبارة «جبال زاغروس»، وهذه الزيادة غير دقيقة في تقديري، فسلسلة جبال زاغروس تمتد بين العراق وإيران على طول ١٥٠٠ كيلومتر، من جنوبي هذين البلدين إلى شماليهما، ولا تقتصر على

شمالي العراق؛ فعرضوا للأعمال الفنية المكتشفة في مواقع: كرمز ديرة، ونمريك، وجارمو، وأم الدباغية، وتل الصوان.

في الفصل الثاني عشر، جرى استعراض فنون العصر الحجري الحديث في جنوب شرقي الأناضول؛ فتحدث المؤلفون عن العمارة في موقعي شاتال هويوك وغوبكلي تبه، ثم انتقلوا للحديث عن الدمى، وعرضوا لأمثلة منها، وبخاصة لتماثيل «الإلهة الأم». ويستحق هذا النوع من التماثيل تعليقًا خاصًا، فعلى الرغم مما أبداه المؤلفون من حذر في غير موضع من الكتاب في تحديد وظيفة هذه التماثيل، إلا إن القارئ يجدهم في غير موضع يسمونها «الإلهة الأم»، على الرغم من أننا لا نعرف وظيفتها الحقيقية، بل نحن لا نعرف، نتيجة لغياب الكتابة في عصور ما قبل التاريخ، إن كانت لها سمة دينية، فربما أراد الفنانون القدماء بهذه التماثيل تصوير نساء عاديات، وحسب.

ومرَّ المؤلفون في الفصل الثالث عشر والأخير بأربعة موضوعات مختارة من فنون ما قبل التاريخ، هي الرسومات الجدارية في بلاد الشام في عصور ما قبل التاريخ، وتماثيل عين غزال، والفن وعادات الدفن والجماجم المجصّصة في العصر الحجري الحديث، والحليّ والمجوهرات في عصور ما قبل التاريخ؛ فعوَّضوا في هذا الباب الأخير نقصًا يلحظه القارئ في فصول الكتاب السابقة؛ إذ لم يكد المؤلفون يذكرون الحليّ عند حديثهم عن فنون أوروبا والشرق في العصور القديمة.

وأدرج المؤلفون في آخر الكتاب قائمة مستفيضة بالمراجع العربية والأجنبية ذات العلاقة بموضوع الكتاب. وأحسب أن الكتاب كان ليتخذ قيمة إضافية لو أن المؤلفين شفّعوه بفهارس، لمن أراد أن يتتبع موضوعات معينة، كأن يبحث في الكتاب عن «الأفاعي»، أو عن مواضع بعينها، مثل «عين غزال» وغيرها.

وجملة القول، يعرض الكتاب لموضوع مهم بلغة واضحة وسهلة، ويتضمن معلومات تنفع المختصين في مجال الآثار، والتاريخ، وتاريخ الديانات، وتاريخ الفنون، وتاريخ العمارة، وسواها، على نحو لم يُجمع في كتاب واحد بالعربية من قبل. وعلى الرغم من أن المؤلفين اتخذوا للكتاب عنوانًا حذرًا «روائعٌ من...»، نبهوا من خلاله إلى أنهم لم يقصدوا استقصاء النماذج الفنية في العصور القديمة كلها، غير أنهم جمعوا في الكتاب أهم ما ينبغي العرض له عند الحديث عن فنون ما قبل التاريخ.

**د. عمر الغول: كلية الآثار والأنثروبولوجيا - جامعة اليرموك - إربد - الأردن.**

# يصدر قريبًا

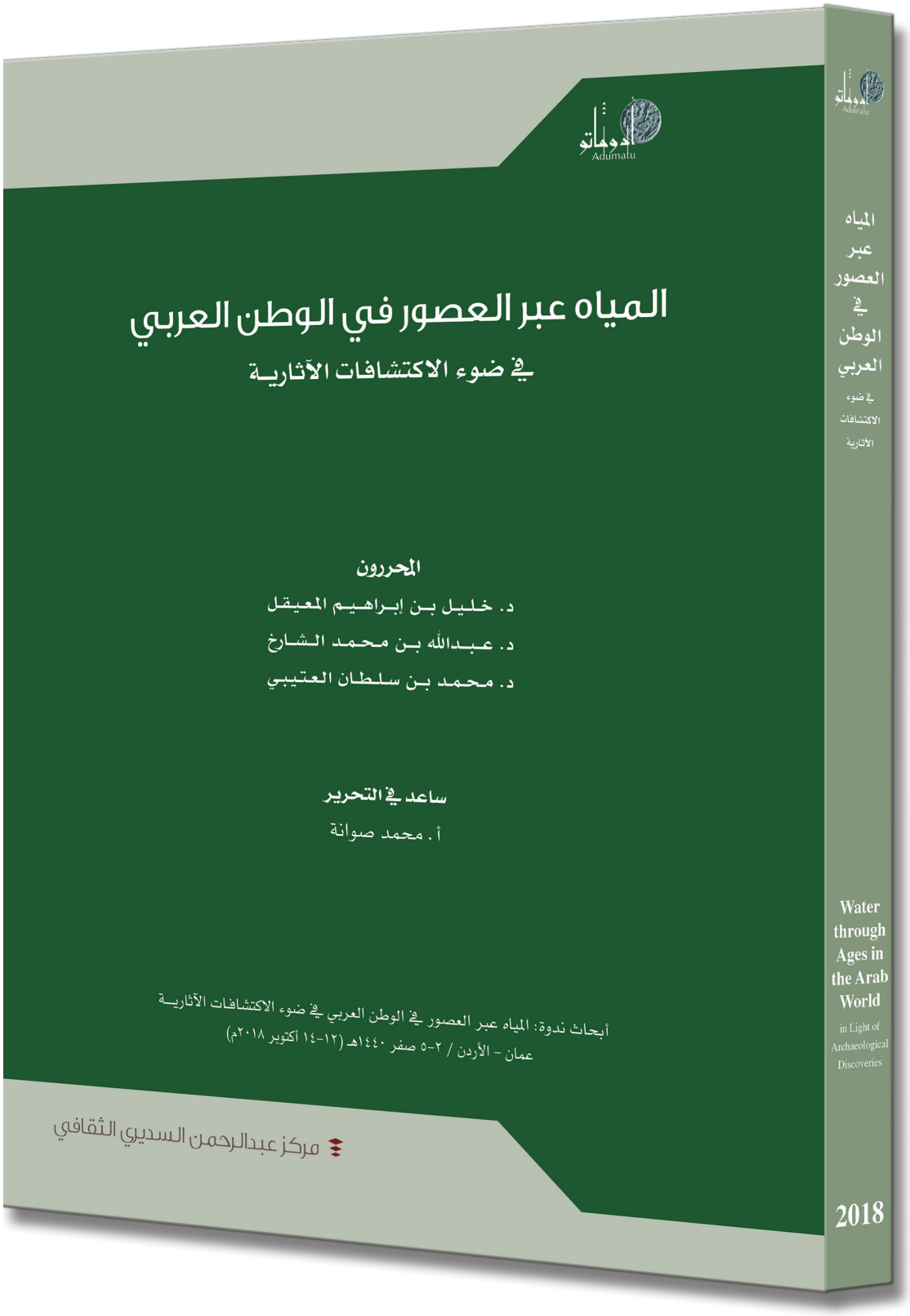
أدوماتو
Adumatu
المياه عبر العصور في الوطن العربي
في ضوء الاكتشافات الآثارية
المحررون
د. خليل بن إبراهيم المعيقل
د. عبدالله بن محمد الشارخ
د. محمد بن سلطان العتيبي
ساعد في التحرير
أ. محمد صوانة
أبحاث ندوة: المياه عبر العصور في الوطن العربي في ضوء الاكتشافات الآثارية
عمان - الأردن / ٢-٥ صفر ١٤٤٠هـ (١٢-١٤ أكتوبر ٢٠١٨م)
مركز عبدالرحمن السديري الثقافي
المياه عبر العصور في الوطن العربي
في ضوء الاكتشافات الآثارية
Water through Ages in the Arab World
in Light of Archaeological Discoveries
2018